والح الفرنج في القتال وكادوا ان يملكوا فبعث الله ريحا فقطعت مراسي مرمة الفرنج
وكانت من عجايب الدنيا فمرت الي بر المسلمين فاخذوها فاذا هي مصفحة بالحديد ولا
تعمل فيها النار ومساحتها خمسماية ذراع فكسروها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها
خمسة وعشرون رطلا وبعث الكامل الي الافاق سبعين رسولا يستنجد اهل الاسلام
لنصرة المسلمين ويخوفهم غلبة الفرنج علي مصر فساروا في شوال واتت النجدات من حماه
وحلب وبينا الناس في ذلك اذ طمع الامير عماد الدين احمد بن الامير سيف الدين ابي الحسن
علي بن احمد الهكاري المعروف بابن المشطوب في الملك الكامل عندما بلغه موت الملك
العادل وكان له لفيف يتقاودون اليه ويطيعونه وكان اميرا كبيرا مقدما عظيما
في الاكراد الهكارية وافر الحرمة عند الملوك معدودا بينهم مثل واحد منهم وكان مع
ذلك عالي الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعا ابي النفس تهابه الملوك وله الوقايع
المشهورة وهو من امرا الدولة الصالحية يوسف فاتفق مع جماعة من الجند والاكراد
علي خلع الملك الكامل واقامة اخيه الملك الفايز ابراهيم ليصير له الحكم ووافقه الامير عز
الدين الحميدي والامير اسد الدين الهكاري والامير مجاهد الدين وجماعة من الامرا
فلما بلغ ذلك الملك الكامل دخل عليهم وهم مجتمعون والمصحف بين ايديهم ليحلفون
الفايز فلما راوه انفضوا فخشي علي نفسه وخرج فاتفق وصول الصاحب صفي الدين بن شكر
ابن امد الي الكامل فانه كان استدعاه بعد موت ابيه فتلقاه واكرمه وذكر له ما هو فيه
فضمن له تحصيل المال فلما كان في الليل ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية جزيرة
الي اشموم طناح فنزلها واصبح العسكر بغير سلطان فركب كل منهم هواه ولم يعطف
الاخ علي اخيه وتركوا اثقالهم وخيامهم واموالهم واسلحتهم ولحقوا بالسلطان فبادر
الفرنج في الصباح الي مدينة دمياط ونزلوا البر الشرقي في يوم الثلاثا سادس شهر ذي
القعدة بغير منازع ولا مدافع واخذوا ساير ما كان في معسكر المسلمين وكان شيا
لا يحيط به الوصف وداخل السلطان وهم عظيم وكاد ان يفارق البلاد فانه
تخيل من جميع من معه واشتد طمع الفرنج في ارض مصر كلها وظنوا انهم قد ملكوها
الا ان الله اغاث المسلمين وثبت السلطان ووافاه اخوه الملك المعظم باشموم طناح
فاشتد به ازره وقوي جاشه واطلعه علي ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة

ما يكره

ما يكره ثم ان المعظم ركب الي خيمة ابن المشطوب واستدعاه للركوب معه ومسايرته
فاستمهله حتي يلبس خفيه وثياب الركوب ثم تمهله واعجله فركب معه وسايره
حتي خرج به من العسكر الكاملي ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك واشتهي ان تهبها
لنا واعطاه نفقة وسلمه الي جماعة من اصحابه يثق بهم وقال لهم اخرجوه من الرمل
ولا تفارقوه حتي يخرج الي الشام فلم يسع ابن المشطوب الا امتثال ما قال المعظم
لانه معه بمفرده ولا قدرة له علي الممانعة فساروا به الي حماه ثم مضي منها الي الشرق
ولما ابعد المعظم ابن المشطوب رجع الي الملك الكامل وامر اخاه الفايز ابراهيم
ان يسير الي ملوك الشام في رسالة عن اخيه الملك الكامل يستدعيهم الي قتال الفرنج
فمضي الي دمشق وخرج منها الي حماه فمات بها مسموما علي ما قيل فثبتت للملك
الكامل امر الملك وسكن روعه هذا والفرنج قد احاطوا بدمياط برا وبحرا واحدقوا
بها وضيقوا علي اهلها ومنعوا القوت من الوصول اليهم وحفروا علي عسكرهم
المحيط بدمياط خندقا وبنوا عليه سورا واهل دمياط يقاتلونهم اشد القتال وبها نعوهم
وقد غلت عندهم الاسعار لقلة الاقوات ثم ان المعظم فارق الملك الكامل وسار
الي بلاد الجاندارية في الركاب للدخول الي دمياط وكان يسبح في الما ويصل الي اهل
دمياط فيعدهم بوصول النجدات فحظي بذلك عند الكامل وتقرب منه حتي عمله
والي القاهرة واليه تنسب خزانة شمايل بالقاهرة فلم يزل الحال علي ذلك الي ان دخلت
سنة ست عشر فجهز الملك المنصور صاحب حماه ابنه المظفر تقي الدين محمود الي مصر نجده
لخاله الملك الكامل علي الفرنج في جيش كثيف فوصل الي العسكر وتلقاه الملك الكامل وانزله
في ميمنة العسكر منزلة ابيه وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف فالح الفرنج
في القتال وكان بدمياط نحو العشرين الف مقاتل فنهكتهم الامراض وغلت عندهم
الاسعار حتي بلغت بيضة الدجاجة عندهم عدة دنانير **قال الحافظ** عبد
العظيم المنذري سمعت الشيخ ابا الحسن علي بن فضل يقول كان لبعض بني حنار بقرة
فذبحوها وباعوها في الحصار فجاءت ثمانماية دينار وامتلات مساكنهم وطرقات
البلد من الموتي وعدمت الاقوات وصار السكر كمعزة الياقوت الاحمر وفقدت اللحوم
فلم يقدر عليها بوجه والت بينهم الحال الي ان لم يبق بها سوي قليل من القمح والشعير

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)